حقيقة الاسلام

للمستشرق الإنجليزى (ر . هـ . نولت)

عرضه الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ
المدرس بمدرسة أحمد عرابى بأسيوط

« إن شريعة الإسلام هى وصايا أدبية مدهشة يجب على المكلف القيام بها »
« هربرت »

— ١ —

عندما تريد الذهاب إلى لندن عن طريق « سوتها مبتون » فإنه لابد وأن تعترضك تلك العلامة الكبيرة فى تحد ظاهر يضطرك أن تسأل هذا السؤال .

« ماهو الإسلام » ؟

الذى يرمز إليه هذا الرمز العظيم ، فإذا لم يسعفك الجواب ولم يكن لديك من المعلومات ما تستطيع به الإجابة عن هذا السؤال ، فما عليك إلا أن تزور هذا الرمز وهو جامع (ووكنج) حيث تجد هناك الجواب الشافى عملياً فيما يقوم به المسلمون من شعائر .

قد يبدو هذا السؤل لاغلب الناس وخاصة الانجليز أنه ليس بذى أهمية كبيرة ، وذلك لأن الإسلام فى نظرهم لايتعدى صورة يحتفظون بها تتمثل فى (لورنس) أو فى شيخ يشبهه ، يتخذ مقره فى الصحراء الممتدة من قبالة جبل طارق حتى جبال الهند ، يسبح فيها كيف شاء على ظهر جمله يحط ركابه فى أى مكان ، ما دامت خيمته المنسوجة من الوبر أو الصوف معه ومادامت زوجاته الأربع المقنعات يصحبنه فى هذه التنقلات كظله .

والحقيقة أن هذا السؤال فى حاجة إلى جواب دقيق لا يمكن أن تؤدى الصورة التى يرسمها الخيال حقيقة الإجابة المطلوبة ، والتى يقتضى الإنصاف تسجيلها .

فالفشل الذريع الذى منيت به أخيراً السياسة البريطانية خاصة والسياسة الغربية عامة فى البلاد الإسلامية ، كمصر وإيران وسورية ، سببه عدم الحكمة والإنصاف فى معاملة سكان هذه البلاد وإغفال الوسائل المجدية لمعرفة المشاعر الإنسانية بين قوم هم أساتذة العالم فى معرفة القيم الإنسانية بما حباهم دينهم من تعاليم هى الأسس التى سار عليها العالم المتحضر فى تقييم الإنسانية . هذا الإغفال لحقيقة المشاعر الإنسانية فى الشرق ، ولا سيما بين الذين بيدهم مقاليد الأمور فى بريطانيا ولهم أكبر الأثر فى الغرب ، هو السبب فى ضياع بلاد الشرق الإسلامى .

ولكى نفهم المشاعر الإنسانية فى الشرق الإسلامى ، علينا أن نجد الإجابة لسؤالنا السابق .

« ماهو الإسلام » ؟

ومن حيث أن أى دين من الأديان لابد وأن يكون ذا تأثير قوى فى حياة معتنقيه وتصرفاتهم ، فإن للإسلام تأثيراً كبيراً مماثلا لأى تأثير الدين آخر ، بل يزيد عليه ، وذلك بما تنطوى عليه طبيعته . . وللإجابة على سؤالنا السابق لابد لنا من عرض النقاط الآتية التى يمكن أن تهدينا إلى الجواب الصحيح .

١ — إنتشار الإسلام :

إذا أردنا أن نعرض مدى انتشار الإسلام ، يجب علينا أن ننظر إلى الموضوع نظرة جغرافية لأنها هى التى تحدد لنا الموضوع تحديداً كاملا حقيقياً ، فعلى الأرض ما يقرب من $\frac{1}{6}$ واحد على ستة من مجموع سكانها كلهم يدينون بالإسلام ، أى حوالى من أربعمائة مليون كلهم مسلمون ، وهم يتركزون فى بلاد تمتد من شمال أفريقيا غربا مارة بالشرق الأوسط وأواسط آسيا وباكستان والهند والصين ، ثم جنوباً وسط أفريقيا ثم الملايو واندونيسيا وجزر الفلبين ، وفوق هذا فإن المسلمين يوجدون فى جهات غير هذه كالبلقان والأجزاء الجنوبية من روسيا وغيرها فى دول العالم .

من هـــذا يتضح أن الإسلام يضم إليه مجموعة كبيرة من الشعوب غالبيتهم

من العرب الذين كان لهم السبق فى اعتناق الإسلام وهم يبلغون أربعين مليونا[1] .

ومن هؤلاء العرب ومن أهل إيران يتألف المحور الذى يقوم عليه الإسلام فى الشرقين الأدنى والأوسط ، ويبلغ اليوم مسلمو باكستان والهند والملايو واندونيسيا نصف المسلمين فى العالم . على أن الآلاف التى تتألف من مسلمى تركيا والتتار والمغرب وأفغانستان وأوربة السلافية وزنوج أفريقية والصين والفلبين تضيف إلى عدد المسلمين فى بقاع الأرض عددا لايستهان به .

إن هذه المجموعة القوية وهذا العدد الضخم من المسلمين جدير أن يدعم الإسلام وأن يجعله ديناً من أكبر أديان العالم .

ولكى يكون قولنا هذا قريب الفهم إلى عقول الناس ، يلزمنا أن ننظر إلى الإسلام على أنه دين بكل ما تشتمل عليه هذه الكلمة من معنى ، وبوصفه عقيدة ونظاما ، ثم بعد ذلك ندرس علاقة الإنسان به .

والإنسان لايجد صعوبة فى تعرف حقيقة الإسلام وفقهه وشعائره ، فإن هذا سهل يسير ، وذلك لأن العقيدة الإسلامية قد اشتملت على كثير من الآراء والأفكار التى اشتملت عليها الديانات اليهودية والنصرانية الأولى .

فالإسلام فى حقيقة الأمر صورة كاملة للعقيدة اليهودية والعقيدة المسيحية لأن الإله فى هذه الأديان واحد أزلى أبدى خالد ، صاحب القوة المطلقة ، مصدر الخير ، خالق السموات والأرض ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه :

ولهذا فإن أى شك فى العقيدة الإسلامية يعتبر شركاً لايغتفر .

« إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر دون ذلك لمن يشاء » .

أما عقيدة التثليث التى يعتقد فيها كثير من المسيحيين فإنها محرمة عند المسلمين لا يقرونها ولا يعترفون بها .

والله قوى قادر وقدرته عند المسلمين لاحد لها ، ومن العسير على الإنسان أن يقدرها

---

(١) من الإحصاء نجد أن العرب يزيدون على ثمانين مليونا حيث أن عرب إفريقية يزيدون على خمسة وخمسين مليونا ثم يضاف إليه العرب الموجودين فى شبه جزيرة العرب .

حق قدرها أو أن يتصورها تصوراً كاملا أو أن يعرفها تعريفاً صحيحا. فيلزم للإنسان أن يذعن لأوامر الله وأحكامه وأن يستسلم لها . وهذا هو المعنى الذى تحويه كلمة « الإسلام » .

وهذا الاعتقاد هو الذى جعل المسلمين يعتنقون مذهب (الجبرية) أو الاعتقاد (فى القضاء والقدر) وهو جزء لا يتجزأ من إيمان المسلم يدفعه دائماً للإيمان بأن الإنسان عاجز عن القيام بأعماله وتصرفاته من تلقاء نفسه ، لأنه يؤمن أن وراء كل شىء قدرة الله وقوته ، وحسن توفيقه ، ولهذا نراه دائماً يبدأ بالجملة الخالدة المأثورة (إن شاء الله) عندما يعزم على آداء عمل من الأعمال .

والمسلم يعتقد أن هناك ملائكة قد وكلهم الله به ليحصوا مايقوم به من حركات وسكنات كما يعتقد أن هذه الملائكة ستشهد عليه يوم القيامة يوم الحساب ، عندما تبعث الأرواح لتقف بين يدى ربها ، وعند ذلك يعرف كل إنسان ما قدمت يداه ، خيراً أو شرا وأن نهايته إما إلى الجنة ذات الحدائق والأعناب والحور العين والأنهار الجارية والسرر المرفوعة التى وعد الله بها عبادة الذين سلكوا سبيل الخير وابتعدوا عن نزغات الشيطان .

وكذلك حذر الإسلام المسلمين من مقاربة الشر وذلك بما أعده للمذنبين الذين غلبت عليهم نواحى الشر ، من جحيم السعير ، الذى يحرق جلودهم ، وزاد فى تصوير العذاب الذى ينتظرهم فقال :

« كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب » .

كما عدد الله تعالى ما سيمنحه لعبده الصالح الذى يطيع ما أمره به ويبتعد عما نهاه عنه ، عندما يدخل جنته التى يجد فيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . . .

وأما المرأة الصالحة فلم يوضح الله ما ينتظرها فى الآخرة اعتمادا على التغليب الذى يأخذ به العرب فى أنهم إذا اجتمع الرجال والنساء غلبوا جانب الرجال على النساء .

وإذا سرنا مع المنطق والمعقول رأينا أن عقيدة التسليم المطلق لقدرة الله وإرادته

تعنى أن الإنسان مسلوب الإرادة وأن مصيره خارج عن إرادته ، فهو لا يستطيع أن يسلك طريقه بنفسه لا إلى الخير إن أراد الخير ولا إلى الشر إن نزعت نفسه إلى الشر لأن كل هذا لا يكون إلا بأمر الله .

والنتيجة المنطقية لهذا هى إعفاء الإنسان من المسئولية إعفاء كاملا .

ولكن هذه النتيجة تتغير تغيراً كاملا بالنسبة للمسلم ، فالمسلم له نصيب غير قليل من حرية الإرادة ، وقدر وافر من حرية العزيمة ، يستطيع بما ركبه الله فيه من عقل مدرك وقلب ذكى أن يختار إما النجاة بنفسه والسمو بها إلى مصاف الملائكة ، أو إلقائها فى مهاوى الضلال للشيطان يمزقها شر ممزق وعلى هذا فهو مسئول عن عمله أو ما يجب عليه تركه وأبان له الطريق الذى يوصله إلى الخير والطريق الذى يقوده إلى الشر .

« وهديناه النجدين »

وقد بين القرآن فى أكثر من موضع طريق النجاة للإنسان .

الحقيقة أن هذا ليس قاصراً على الإسلام وحده ، ولا جديداً على الناس ، فقد أوحى الله به إلى كثير من أنبيائه ورسله منهم آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، كانت مهمتهم أن يبشروا بوحدانية الله وأن يرشدوا الناس إلى طريق الهدى ، ويحذروهم عذاب الآخرة .

وبالرغم مما جاء به الرسل على كثرتهم ، ظل الناس فى ضلالهم سادرين ، لا يتبعون تعاليم الله ، وظل هذا حالهم ، حتى القرن السابع إذ أرسل الله لهم محمداً خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام ، وعليه أنزل الله القرآن كتاب المسلمين المقدس والذى يضم كلام الله وأوامره الكاملة الأبدية التى تهدى إلى سراط مستقيم .